

التأثير النفسي الجماعي مدمر

كل شخص لديه ضمير وهو مسؤول عنه وعن الالتزام به. حقيقة أن الناس حولنا يفعلون الخطأ لا يبزر لاي منا فعل الخطأ نفسه او يعفي اي منا من مسؤوليته.

على مر التاريخ ادى التأثير النفسي للمنظمات (سيكولوجيا الجماعة) الى الدمار والالم والذبح. ادت السياسات الجماعية للاتحاد السوفيتي الى موت ملايين الناس جوعا في الثلاثينات, ونفي مئات الالاف وشلهم. الامر المثير في الموضوع هو انه عندما مات الملايين من الناس, لا احد من الناس الناجين طرح هذا السؤال البسيط:

لماذا؟

لأن ما يربط المجتمعات التي لم تتصرف في ضوء الضمير معا هو رباط المصلحة الذاتية . أن هذا الرباط واهي جدا ورقيق يمكن كسره خلال استفزاز بسيط. لذلك فإن البنية النفسية يمكن ان تعتبر الجيد سئ والسئ جيد حسب ما تمليه عليها المصلحة الذاتية. يمكن سحق الخير بلا رحمة من اجل اخفاء الشر الأعظم.

ومع ذلك فمن السهل على شخص يتبع ضميره ولا يتماشى مع سياسة التأثير النفسي للمنظمات, ان يرى الخير. فقد امن النبي ابراهيم(عليه السلام) من خلال تأمله للسماء وحده. كما تلقى النبي محمد (في عزلته في غار حراء. كما تكلم النبي موسى (عليه السلام) مع ربه عندما كان وحيدا في الجبل...

قوله تعالى (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مَلِكًا وَلَا نَبِيًّا) [النحل : 120] احد الاسرار التي جاءت في الاية هو ان الشخص الذي من المُشْرِكِينَ [النحل : 120] يستخدم ضميره بعيد عن كل العقبات هو الاكثر فاعلية واقوى من مجتمع باكملة.

ومع ذلك ، فإن الإيديولوجيات و الأنظمة البعيدة عن القيم الأخلاقية الدينية تشجع الناس على اتباع القطيع بدلا من الالتفات لضمائرهم. هذا يخنق ضمائر الناس.

دعونا ننظر حولنا ، كم من الناس يستطيعون التصريح بأمر يروونه صحيحا دون الأهتمام بما سيقوله الناس عنهم؟ كم من الناس يستطيعون القول للأغلبية بانهم على خطأ.

ان التصرف في ضوء التآثر النفسي للمنظمة اصبح يشمل الغالبية العظمى من حياة الناس. اصبح هذا التآثر يشكل حياتهم الخاصة وحياة العمل والحياة العائلية على اساس ماذا سيقول الناس عني. لا تسمح سياسة التآثر النفسي للمنظمة للناس ضعيفي الايمان الاستجابة لضمائرهم.

ان الله يامرنا العكس تماما في القرآن، فهو يامرنا تجنب المنظمات التي تقودنا الى طريق الشر او التي يمكن ان تقربنا من الشر حيث يقول:

وَإِنْ تَطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ. (الانعام 116)

ان التصرف في ضوء التآثر النفسي للمنظمة يجعل من المستحيل التفكير بعقلانية. فبدلا من تقييم الاحداث كل على حدى، يعتبرون من الاسهل اتباع الرأي العام، وذلك للتماشي مع ما يسمعون بدلا من التماشي مع ضمائرهم. يختفي التفاهم والشعور بالخير والضمير الصالح...

ان المنظمات تفكر بشكل سطحي ولا تتصرف في ضوء الفهم العميق. اما يتم رفض او قبول الافكار في اذهانهم ولا خيار وسط. هذا هو الوضع نفسه في كل العالم الذي انهم يرفضون يستنتج افكاره من التلقين بدل من الحكم الرشيد والضمير الصالح. ويكرهوا اي تطور او حداثة يمكن ان تطور من حياتهم.

ان اخطر ما يمكن ان يؤدي اليه التآثر النفسي بالمنظمات هو فقدان الحب في المجتمع... اذا تغذى المجتمع على الكراهية والتطرف بدل من الحب والمودة، فكيف يمكن للمرء ان يتوقع اي فائدة من هذا المجتمع للبشرية. اذا شعر الناس بالغضب عندما يقال "نعم، نحن غاضبون الان" دون ان يسألوا "لما نحن غاضبون؟" فكيف لهم ان يبنوا نظام من العدل يقود للسلام والهدوء.

الإنسان " هو الأكثر تفوق على كل المخلوقات " لا يجب أن يتحول الى الات للكرهية تحت ضغط الأغلبية "، بل يجب ان يكونوا قادرين على جلب الجمال للعالم من خلال الإلتزام بالعقلانية، الحداثة، النضج، الحب والصبر.

يمكن للمرء أن يستمتع بايمانه بربه من خلال العمل في ضوء الايات القرآنية، وعدم الإنصياع وراء القطيع، الاصغاء لصوت الضمير الداخلي، والانتباه الى بطلان الأيدولوجيات التي تشجع على الكراهية، العنف والصراع... أيدولوجيات مثل الشيوعية، الفاشية والداروينية الاجتماعية، تلك الايدولوجيات التي تركت بصمة دموية على مدى المنتين سنة الاخيرة، وتدعي عكس ذلك. لهذا السبب فانه يجب توضيح البطلان العلمي لهذه الإيدولوجيات، وذلك إذا ما اردنا أن يعيش الناس في مناخ من الحرية والسلام. ذلك لأن الله يأمرنا في القرآن ان ندافع عن السلام وان نحب بعضنا بعضا وان نتسامح.

<https://www.harunyahya.info/ar/mqalat/altathyr-alnfsy-aljmaay-mdmr-17492>